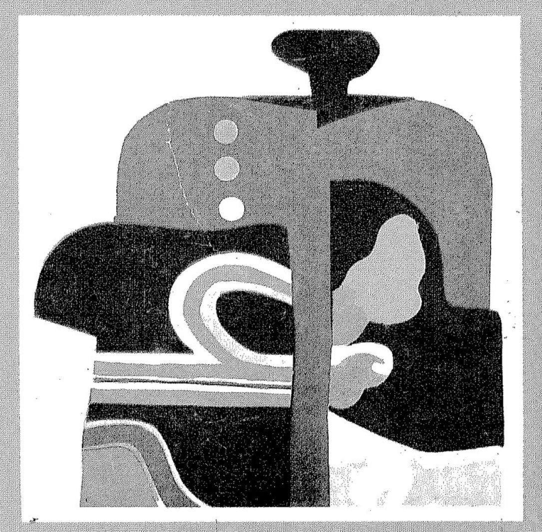
تراث الإنسانية

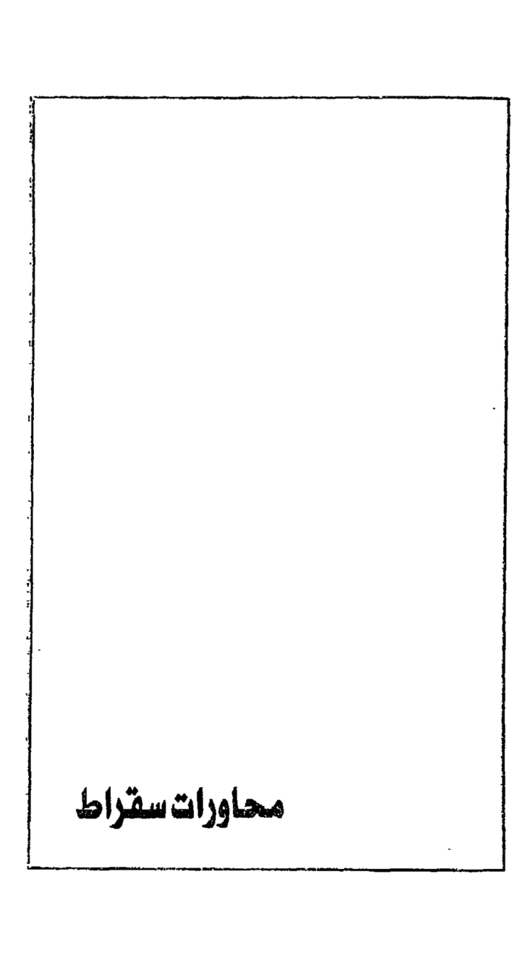
محاورات سقراط

د. أحمد فؤاد الأهوانى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٥


محاورات سقراط

محاورات سقراط

د . أحمد فؤاد الأهوانى



مهرجان القراءة للجميع ٩٥
مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(تراث الإنسانية)

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الحكم المحلى

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ : هيئة الكتاب

الانجاز الطباعى والفنى
محمود الهندى

المشرف العام
د. سمير سرحان

محاورات سقراط

د . أحمد فؤاد الأهوانى

شيخ الفلاسفة ، ومعلم أفلاطون ، وواضع الفلسفة على أسس راسخة سليمة من العقل والمنطق ورب المذهب العقلى فى تاريخ الفكر ، ذلك هو سقراط • اسمه على كل لسان منذ خمسة وعشرين قرنا من الزمان ، يضرب به المثل فى الحكمة والمعرفة ، ذكره شوقى فى قصائده ، وردد العرب آراءه فى كتبهم ، حتى أضحت جزءا من تراثهم الثقافى •

وعلى الرغم من هذه الشهرة الكبيرة والصيت الذائع ، فان تحديد فلسفته على وجه اليقين أمر عسير جدا • وذلك يرجع الى سبب أساسى أنه لم يكتب فى حياته حرفا واحدا، وانما ردد تلاميذه آراءه بعد وفاته ، وأجروها على لسان سقراط • وظهر بعض المحدثين فى فرنسا ينكرون صحة وجود سقراط أصلا ويزعمون أن أفلاطون أكبر تلاميذه ،

وهو الذى كتب المحاورات التى كانت تجرى بين سقراط وأصحابه ، انما تخفى وراء هذا الاسم وجعله ينطق بما يريد أفلاطون أن يقوله ، لأســباب « فنية » ، حيث ان المحاورة تتخذ هيئة تشبه المسرحيات الى حد كبير ، وكانت تمثل على المسرح بالفعل في الزمن القديم • غير أن هذا الافراط فى الشك ليس له ما يبرره ، لأن أفلاطون ليس التلميذ الوحيد لسقراط ، وقد كتب غيره نفس المحاورات ولكن بطريقة أخرى ، كما هى الحال فى مذكرات زنيوفون، كما أن أرسطو يذكر آراءه فى أكثر من كتاب وفى أكثر من موضع وبخاصة فى كتاب الأخلاق ، وكان أرسـطو قريب العهد من سقراط ، لم يره طبعا ، ولكنه رأى معظم تلامذته وبخاصة أفلاطون •

عاش سـقراط اذن بالفعل ، ولد سنة ٣٩٩ وتوفى سنة ٤٧٠ ، أى أنه بلغ سبعين عاما ، أمضـاها فى القرن الخامس قبل الميلاد ، فى أثينـــا ، أزهى عصور الثقافة الاغريقية ، وفى أزهر مدن الاغريق •

أثر سقراط فى تاريخ الفكر الفلسفى كله أثرا باسعا لا يمحى ، فهو صاحب الطريقة المعروفة باسمه حتى اليوم، الطريقة السقراطية ، المتبعة فى التعليم الفلسفى بوجـه عام ، وفى التربية بوجه خاص • وهو صاحب مذهب فى الفلسفة وفى الأخلاق لا يزالان مما يؤخذ بهما الى الآن ، أو على الأقل يؤخذ بروحهما •

لم يكن سقراط من النبلاء ، على عكس أفلاطون ، فهو مواطن أثيني رقيق الحال ، من طبقة الشعب . ويروى أن أمه كانت ــ قابلة ــ ، فلما نبغ سقراط وكانت طريقته « توليد » المعاني من النفس ، قيل أنه كان ينسج على منوال أمه ، من جهة أن صناعتها التوليد . وذكر أنه كان يتكسب فى صدر شبابه من العمل بالنحت وصناعة التماثيل وليس ذلك ببعيد ، لأن مناقشاته المذكورة فى المحاورات تدل على معرفة وثيقة بتلك الصناعة نتيجة المزاولة الفعلية . وأكبر الظن أن هذه النشأة من صميم الشعب هى التى جعلت فلسفة « شعبية » انها تعبير عن روح الشعب وحيرته وآماله وأهدافه المنبثقة من الخبرة العملية والأفكار الجارية بين الناس فى شتى طبقاتهم . وهذا هو سر حيوية الفلسفة السقراطية وجمالها وواقعيتها، على عكس الفلسفات التى تجمدت داخل المدارس ،وأصبحت « نظرية » وابتعدت عن الحياة العملية ، وأضحت تعيش فى أبراج عاجية تعزل النظر عن العمل .

بدأت الفلسفة اليونانية فى القرن السادس قبل الميلاد بعيدة عن أثينا ، فى آسيا الصغرى ومدنها وبالأخص ملطية ، وفى جنوب ايطاليا حيث ظهر فيثاغورس ، وفى ايليا موطن بارمنيدس . فلما ارتفع نجم أثينا فى حكم بركليس ، وأخذت تزدهر بالأدب والفن والعلم والصناعة ، اجتذبت اليها الحكماء والمفكرين من المدن اليونانية الأخرى جاءوا يعملون بها ، ويعرضون أفكارهم ومعارفهم ، فكان

ذلك العصر بحق عصر المعلمين ، أو باللغة اليونانية « السفسطائيين » · والسفسطائى هو الماهر فى الصنعة ، سواء أكانت يدوية أم فكرية ولما كانت الديمقراطية قد انتشرت فى ذلك الحين وكانت الديمقراطية هى حكم الشعب بالشعب بطريق الممثلين عنه فى المجالس النيابية، واحتاج الممثلون الى قوة الحجة والقدرة على الافصاح والبيان ، أصبحت الحاجة ماسة الى معلمين للخطابة والبيان ، هم جماعة السفسطائيين · عاش سقراط فى جوهم ، وعلم مثلهم ، ولكنه اختلف عنهم فى أنه لم يأخذ بمبدأ القوة أساسا للحق ، ولا بمبدأ نسبية الحق وأنه تابع لما يراه كل انسان ، كما أنه لم يتناول أجرا على التعليم ·

والمأثور أن سقراط لم يتناول أجرا على التعليم لأن نظريته تذهب الى أن المعرفة موجودة فى النفس يستطيع المرء أن يستنبطها بالتوليد ، وفكيف يأخذ المعلم أجرا على شىء ليس فى ملكه · قد يكون الأجر جائزا فى حالة تعليم الحرف والصناعات ، أما فى تعليم الفضائل فهذا لا يجوز · ومع ذلك فنحن نرى أرستوفان ، شاعر الملهاة المشهور ، يصوره فى تمثيلية السحب صاحب مدرسة ، لها باب يقفل عليها ، ويتجه اليها الطلبة للتعلم ، وقد كتبت هذه التمثيلية ولعبت بالفعل قبل وفاة سقراط بعشرين عاما ، ويقال انها كانت من جملة الأسباب التى أشاعت عن سقراط تهمة افساد الشباب · والمقصود بذلك تحويل

آراء الشباب وإثارتهم على العادات الجارية والتقاليد الموروثة. وحقا كان سقراط يغشى الشباب ويغير أفكارهم، ولكنه لم يكن صاحب مدرسة ولا تناول أجرا على التعليم، كما لم يعلمهم التغلب بقوة البيان لو كانت الغلبة فى سبيل الباطل . فقد كان هدفه على الدوام بلوغ الحقيقة .

وقد بدأ سقراط فيلسوفا طبيعيا ، ففى محاورة فيدون أنه قرأ كتاب أنكسا جوراس فى العلم الطبيعى ولم يعجبه ، لأن صاحبه يصف الواقع كما هو عليه ويبين الأسباب الآلية للظواهر ولا يتعرض لأسبابها الغائية . ولذلك هجر مذهب فيلسوف العقل فى العلم الطبيعى ، وطور قوله بالعقل علة للأمور الانسانية . الحق لقد كان الاتجاه فى الفلسفة قبل سقراط نحو البحث فى الطبيعة، أى فى العالم الخارجى ، سواء أكان عالم السماء أم عالم الأرض حتى جاء سقراط ، فوجه هذا الاتجاه نحو البحث فى الانسان ، وفى أخلاقه ، وفى نفسه . وهو الذى تمثل بالحكمة المشهورة التى كانت مدونة على باب معهد دلفى : « اعرف نفسك » . ولذلك قيل ان سقراط هو الذى أنزل الفلسفة من السماء الى الأرض ، بمعنى تحويل الفلسفة نحو البحث فى عالم الانسان لا عالم الطبيعة .

ولا شك أن البحث الطبيعى شيء يختلف عن البحث فى الانسان ، فللبحث الأول منهج يناسبه وهو الملاحظة الخارجية والتجربة ، وللبحث الثانى منهج آخر ، هو

التأمل ، أو التفكير ، أو الجدل أو الحوار . وكان الحوار بوجه خاص هو المنهج الذى اتبعه سقراط ، وهو عبارة عن مناقشة تدور بين شخصين أو أكثر ، فى هيئة سؤال وجواب ، وقد يكون السؤال سؤال استنكار أو تهكم أو استفسار أو تسليم ، فان سلم المستفسر بما يقال ترتبت على ذلك أمور ، وان سلم بما يناقضها ترتبت أمور أخرى ، ولكن لابد من التسليم بأحدهما على أى حال . وهذا النوع من الحوار كان يستخدمه السفسطائيون ، وهو صالح للبحث فى الأمور الانسانية من تقاليد وأخلاق وعقائد دينية وتشريعات دنيوية ومصالح سياسية . ويبدو أنه كان مستخدما فى أكاديمية أفلاطون ، الى أن أبطله أرسطو بمنهجه فى القياس المنطقى والبرهان . .

والحوار السقراطى من هذا القبيل غير أنه اتخذ طابعا معينا تميز به ، من حيث أن سؤاله تهكم يوقع محاوره ، أو خصمه ، فى الارتباك ، ولا يبادر سقراط بالجواب ، ولكنه يستخرجه من محاوره نفسه ، أو بعبارة أخرى « يولده » من هنا سمى منهجه بالتهكم والتوليد . والنماذج من المحاورات التى كتبها أفلاطون كثيرة . بل ان أحد الموازين التى بها نميز المحاورة السقراطية التى تمثل آراء سقراط من المحاورة الافلاطونية التى تعكس فكر أفلاطون هو اتباع هذا المنهج . ان وجد واضحا كانت المحاورة سقراطية ، مثل محاورة أوطيفرون وأقريطون وبروتاجواس وغيرها ، وان اختفى هذا المنهج وحل محله

السرد ، والرواية المتصلة كما هى الحال فى « القوانين » ، كانت المحاورة أفلاطونية • هذا المنهج اذن يدعو الى أن يفكر الانسان بنفسه فى نفسه ، وأن ينعم النظر فى الآراء والمعتقدات ولا يأخذها قضايا مسلمة ، فان فعل المرء ذلك ذهبت القداسة التى تخلع على العادات والتقاليد والآراء الذائعة والمعتقدات الموروثة ، وتبين للمرء أن بعضها صحيح وبعضها الآخر فاسد ، ليست كلها حقا بل بعضها باطل ، والقول بأن قوانين الدولة ومعتقداتها باطلة يعد « ثورة » عليها ، وأكثر من يتأثر بهذه التعاليم السقراطية هم الشباب ، لأن الشيوخ بعد اتباعهم التقاليد الجارية طول عمرهم يجمدون عليها ويصعب عليهم تغييرها أو الثورة عليها• فلما أخذ سقراط ينشر تعاليمه متبعا ذلك الاسلوب الذى يثير التفكير ، ويسعى وراء الحق ، ويبتعد عن الباطل ، اتهمه أصحاب المصالح السياسية بأنه يؤلب الشباب ويفسده ، وأنه كما جاء فى عريضة الاتهام مصدر متاعب للدولة •

ولم تكن تهمة افساد الشباب ونشر القلق فى الدولة التهمة الوحيدة التى قدمها ميليتس كاتب عريضة الاتهام ، بل أضيف الى ذلك تهمتان أخريان هما انكار آلهة اليونان، والقول بآلهة جديدة ، ومحاورة أوطيفرون تبحث فى التقوى ، أى تقوى الآلهة ، وهى المحاورة السابقة مباشرة على محاورة الدفاع ، والتى تعد تمهيدا لها ، لأنها توضح احدى التهم الموجهة لسقراط •

ومن الموازين التى يعتمد عليها النقاد فى الفصل بين المحاورة السقراطية والمحاورة الأفلاطونية ، أن الأولى لا تنتهى الى نتيجة حاسمة ، وانما تظل المناقشة مفتوحة الأبواب . الحق أن المنهج السقراطى باعتباره الطريق الفلسفى لا يمكن أن يصل الى نتيجة ، وانما يستمر فى البحث حتى آخر حياة المفكر ، ولا يزال المفكرون منذ سقراط الى الوقت الحاضر يقلبون الأنظار فى هذه المسائل الأخلاقية والاجتماعية والسياسية والجمالية .

على هذا الأساس اعتبر المؤرخون محاورات هبياس، وايون ، وخرميدس ، ولاخس ، وليسيس وجورجياس ، وبروتاجوراس ، وأطيفرون ، والدفاع وأقريطون ، من المحاورات السقراطية . ولم يعدوا فيدون كذلك . غير أن القدماء رتبوا المحاورات ترتيبا آخر ، فجمعوا كل أربع منها بحسب موضوع متقارب فى « رابوع » ، وأول هذه المجموعات أوطيفرون والدفاع وأقريطون وفيدون ، وهى تدور حول اتهام سقراط بانكار الآلهة ، ودفاعه عن نفسه فى المحكمة ، وسجنه ورفضه الهرب وفى معنى الشجاعة، ثم فيدون وتبحث فى خلود النفس .

ولما كان أرسطو قد اعتبر أن فلسفة سقراط تدور حول أمرين ، طلب الحد الكلى ، وأن الفضيلة علم ، فجدير بنا النظر فى هذين الأمرين ، بالاضافة الى محاكمته لأهميتها فلسفيا .

والحد هو التعريف • والأصل فى الحد أنه يضع نهاية حول شيء معين فلا يكون هذا الشيء مبهما غامضا ، ومن أجل ذلك سمى الحد تعريفا، وليس المقصود بالتحديد وضع حدود رياضية كالخطوط أو الدوائر التى تبين معالم الأشياء المادية بل التحديد الذهنى للمعانى• فنحن نستخدم فى حديثنا ألفاظ كثيرة ، تشير الى مسميات ، ولها دلالات ذهنية • والأصل أننا ندرك الأشياء الحسية فيكون لها صورة ذهنية موازية للكائن الحسى الموجود خارج الذهن ، ولكن الانســان بعد أن تحضر وتقدم لم يقف عند ادراك المحسوسات بل ارتفع الى المعانى الكلية التى يصف بعضها الأنواع والأجنــاس للموجــودات الطبيعية مثل الانســان والفرس والطائر وغير ذلك ، ويصف بعضها الآخر معان مجردة ، وبخاصة المعــانى الخلقية ، كالعفة والشــجاعة والصداقة وغير ذلك • ولكن تحديد الكائنات الطبيعية ، أو الرياضية ، أمر سهل ، لأن الصفــات المحددة للنوع واضحة المعــالم • خذ مثــالا لذلك لفظ « المثلث » فهو « معنى كلى » ينطبق على آلاف بل ملايين المثلثات • وبحكم تعريف المثلث من أنه : سطح مستو محوط بثلاثة أضلاع لا نجــد عسرا فى تطبيق هذا التعــريف على الأشــكال الهندسية ومعرفــة ما ينطبق عليها • ولوضــوح الأمور الرياضية ضرب بها المثل دائما ، وبخاصة فى الزمن القديم عند اليونانيين ، وبوجه أخص عند سقراط وأفلاطون •

وهل يغيب عن بالنا أن أفلاطون كتب على باب مدرسته : من لم يكن مهندسا فلا يدخل علينا ؟

وقد ورث سقراط وأفلاطون الفلسفة الرياضية عن الفيثاغوريين ، الذين كانوا يتداولون مذهبهم سرا ، لا يبيحونه لأحد ، وبخاصة العلم الرياضى ، وكان سقراط من جملة هذه الحلقة الفيثاغورية السرية ، ففى افتتاح محاورة فيدون ، وهى المحاورة التى تصف كيف تجرع سقراط السم تنفيذا لحكم الاعدام ، نجد كثيرا من أصدقائه كانوا حاضرين منهم أثينيون ومنهم غرباء عن أثينا ، وكلهم وانتسمتينس ، ومنيكسينوس ولم يكن أفلاطون موجودا وأقريطون ، وهرموجينس ، وابيجينس ، وايخينس ، وأنتسمتينس ، ومنيكسينوس ولم يكن أفلاطون موجودا لأنه كان مريضا . وحضر من الأغراب عن أثينا سيماس ، وسيبيس ، وأقليدس الميجارى . وكان أرستبوس غائبا . وهؤلاء جميعا ذكرت أسماؤهم ساعة وفاة سقراط ليعلم تلاميذه وحواريوه . أما أنهم فيثاغوريون ، فقد جاء فى نفس المحاورة بعد قليل أن سيبيس سأل سقراط عن الانتحار لم كان حراما ؟ وعن الفيلسوف لماذا ينبغى أن يطلب الموت ؟ فأجاب سقراط بأن فيلولاوس هو الذى رأى أن الانتحار غير مشروع ، وأنه كان يحدث بذلك فى مدينة طيبة ، كما كان يتحدث بذلك المذهب الذى « جرت به الألسنة فى الخفاء من أن الانسان سجين ، وليس له الحق فى أن يفتح باب سجنه ليفر هاربا » ونحن نعلم أن

فيلولاوس أكبر دعاة المذهب الفيثاغورى ، وأن أفلاطون أشترى منه كتابا فى العلم الريـاضى ، على أساسه أذاع ذلك العلم •

الذى لا شك فيه أن سقراط تعلم الفلسفة الرياضية عن الفيثاغوريين ، وأراد أن يطبقها على الامور الانسانية ، محـــاولا الوصــول الى تعــريف للمفهــومات الأخــلاقية والسياسية والدينية والفنية حتى يبلغ « الماهية » •

تبحث محاورة هبياس الكبرى فى الجمال ما هو ، على حين تبحث هبياس الصغرى فى الحق والباطل وقد اختلف النقاد فى صحتهما ، والأرجح أن الكبرى صحيحة النسبة لسقراط • ويعد هبياس مثالا للسفسطائى ، فهو غريب عن أثينا من مدينة « اليس » ، حسن المظهر ، يجيد صناعة البيان ، كما يجيد كثيرا من الصناعات الأخرى • انه ماهر بكل شىء • يسأله سقراط عن الجميل ما هو ، وهذه اللفظة فى اللغة اليونانية تصف الشىء المادى والمعنوى معنا • فنحن نسمى فعلا ما من أفعال الشجاعة أنه فعل « جميل » ، وكذلك الفعل العـادل نسميه جميلا ، ففى الحالين توجد « صورة » واحدة تنطبق عليهما معا • اذن ما هى هذه الصورة الجميلة التى تعد الماهية الحقيقية لما نسميه الجمال ؟ • يجيب هبياس الفتاة الجميلة ، والفرس الجميلة والآلة الموسيقية ، والآنية وغير ذلك • ولكن الفتاة الجميلة ، فان جمالها نسبى وليس مطلقا وذلك بالاضافة

الى جمال الآلهة • يقول هبيـاس ان كل شيء « ذهبى » جميل، ولكن سقراط يعترض بأن الملعقة الذهبية لا تناسب شرب الحساء الساخن ، بل الملعقة الخشبية ، وكذلك فان فيديـاس لم يصنع تمـاثيله من الذهب ، وهو الفنـان الأصيل •

فالجميل اذن هو المناسب أو الملائم • وينتقل البحث بعد ذلك الى المجال الأخلاقى ، فمن الجميل أن يعيش المرء فى صحة ، وثروة ، وشرف ، وأن يدفن أبويه بما يليق بهما • غير أن هذه الأمثلة كلها لا تحدد التعريف الصحيح الجامع المانع • الحق أن الدرس الذى نستخلصه من هذه المحاورة وغيرهـا من المحاورات السـقراطية ، هو كيفية امتحان التعريف ومحاولة الوصول اليه •

وليس الأمـر كذلك فى التعـاريف الريـاضية • فالمساواة مثـلا كلما تعرض فى محاورة فيدون لا خـلاف عليها، بل هى فى الواقع بديهية موجودة فى النفس بالفطرة بحيث يستطيع المرء أن يحكم على الأشياء بأنها متساوية فيما بينها بمقتضى « مثال » المساواة فاذا كانت الرياضيات قائمة على البديهيات والمسلمات والتعريفات ، فان المعانى الانسانية ليست كذلك، ويصعب جدا الوصول الى تعريف متفق عليه بشأنها ، بحيث ينطبق على جميع الأحـوال • وهذا الطريق هو الذى سار فيه سقراط ، محاولا أن ينتهى فيه الى غاية الشوط •

ومن المحاورات السقراطية ثلاث تبحث معا عادة ، لتقاربها في الموضوع وهى خرميدس ولاخس وليسيس • ومن المعروف أن المحاورات تتخذ اسمها من الشخصية الرئيسية فى المحاورة• فالأولى تنسب الى خرميدس ، خال أفلاطون ، وأحد نبلاء أثينا • وهو ابن غلوكون ، وشقيق أطيفرون أم أفلاطون • وشخصيات المحاورة أربع هم خرميدس وكريتياس وشريفون وسقراط • أما شريفون وهو أحد تلامذة سقراط المخلصين فلا يكاد يظهر فى افتتاح المحاورة حتى يختفى• وأما كريتياس فهو ارستقراطى مشهور كثيرا ما كان يستقبل فى بيته كبار السفسطائيين، ولعب دورا فى سياسة أثينا ، وكان شقيق غلوكون ، وابن عم خرميدس الذى يمثل فى هذه المحاورة الشخصية الرئيسية • وموضوع المحاورة تعريف الفضيلة التى اشتهرت فى اليونان باسم « سفروسونى » والتى تدل على معان كثيرة منها العفة ، أو ضبط النفس ، أو الاعتدال ، أو الحكمة • وكان خرميدس مثالا للأثينى الذى ينطبق عليه وصفهم له بأنه « سفرون أى الشاب الهادىء النفس ، المطمئن ، المتزن ، المعتدل ، العفيف ، ولذلك حاوره سقراط ليعرف ما هذه الصفة وما طبيعتها ، وقدمت لها بضعة تعريفات نوقشت واستبعدت • يقول سقراط لخرميدس انه من الواضح اذا كان يملك فضيلة العفة فلابد أنه يتصورها وعنده عنها مفهوم معين• قال خرميدس ان العفة أن يظهر المرء وقارا هادئا فى كل أفعاله ، فى

مشيته وحديثه وجميع سلوكه وعلى الجملة تتلخص العفة فى البعد عن التهور والتسرع· وبعد مناقشة هذا التعريف وجد أن التسرع مطلوب فى أمور كثيرة وأن البطء كالتسرع مذموم · وعندئذ أعطى تعريف ثـان هو أن العفة تحمل المرء أن يحمر وجهه خجلا من أمور معينة وأن تشعر النفس بهذا الخجل · وبعد مناقشة هذا التعريف استبعد ، وقدم تعريف ثالث أن العفة عبارة عن أن يفعل المرء ما يعنيه · ويقترح كريتياس تعريفا جديدا هو : أن العفة أن يعرف الانسان نفسه وهنا تقترب بعض الشيء من مذهب سقراط الذى تدور فلسفته حوله ، تعنى معرفة النفس ·

· وقد جرت عادة بعض المؤرخين أن يقسموا المحاورات السقراطية قسمين ، الصغيرة من مثـل هبياس الكبرى والصغرى وايون ومنكسنيوس وخرميدس وليسيس ، ثم المحاورات السـقراطية الكبيرة ، يقصدون بها المعبرة عن مذهبه ، وهى جورجياس ومينون وأوطيفـرون والدفـاع وأقريطون ويضيف بعض المؤرخين الكتب الثلاثة الأولى من الجمهورية وهى الباحثة فى معنى العـدالة مهما يكن من شيء فالخلاف حول تحديد المحاورات السقراطية والأفلاطونية شديد ، يكفى أننا عرضنا الآن نموذجا منه · ولن نتمكن من عرض كل هذه المحاورات ونكتفى بالحديث عن بعضها·

محاورة جورجيـاس من أطول المحاورات وأهمها · وجورجياس سوفسطائى مشهور ، وخطيب ذائع الصيت ،

أصله من ليونتينى وذهب الى أثينا واكتسب ثروة كبيرة من صناعة الخطابة . وحيث ان سقراط كان يعارض السفسطائيين، فلا جرم تعد هذه المحاورة من أهم المحاورات لانها توضح بين فلسفتين ، احداهما تقوم على العدل والحق والعقل ، والأخرى تستند الى القوة . وهذان المبدآن موجودان منذ أن وجد الانسان ، بل ان الانسانية الحقة هى السمو على شريعة الغاب وعلى سلاح القوة كما يسود الجماعات الحيوانية فلما سما الحيوان الناطق على حيوانيته، ابتكر صفات انسانية جديدة كالعدل ، والحكمة ، والحق وهى معان تحقق للانسان انسانيته بمعنى الكلمة وهذا ما فعله سقراط ودافع عنه .

جاء جورجياس الى أثينا يحمل معه اسلوبا جديدا فى الحياة هو فرض ارادة القوة ، وفى المدينة تتجلى هذه القوة فى الخطابة ، والخطابة هى فن الاقناع . ونهض سقراط يدافع عن أسلوب آخر هو طلب الخير لذاته ، الذى يخضع للعدل والاعتدال ، لا للقوة وشريعة الغاب ، فالقوة هى الخير الأسمى . ومن هنا كان السلاح الذى ينبغى أن يتسلح به حاكم المدينة ليسيطر على اتباعه ويخضع خصومه هو القوة ، وقوة الاقناع بوجه خاص . وليس من المهم الوصول الى الحق فى ذاته بمقدار ما يصل الخطيب الى اقناع الجمهور بأن ما يقوله هو الحق . ينبغى اذن أن يحسن الخطيب استخدام الأسلحة التى تفيده فى تحقيق أغراضه والرجل القوى هو الذى يعرف كيف يسوس

المدينة . ولكن لكى يبلغ الحاكم السلطان على الجماهير ، ينبغى أن يكون صاحب سلطان على نفسه أولا ، فالقوة الحقيقة هى كبح جماح النفس أو أن يسيطر عليها ويحسن توجيهها .

لم يكن جورجياس مموها يبغى التزييف والمغالطة ، كما انتهت اليه السفسطة فيما بعد ، وانما كان مؤمنـا بمذهب معين ، وأسلوب فى الحياة يؤمن به ، هو أن حياة الانسان تتوقف على ارادته وكفاحه ، والقوى هو الأصلح للحياة ، وهذا المذهب كان موجودا من قديم وتجدد على أيدى فلاسفة القرن التاسع عشر مثل نيتشه وشوبنهور . وفى مقابل حياة الكفاح والعمل والارادة ، يقف سقراط فى الجانب الآخر وهو الحياة الفلسفية التى تعتمد على العقل والحكمة والاعتدال ، على حين تستند الحياة التى ينادى بها جورجياس الى السعى وطلب اللذة .

وقد كانت نظرية جورجياس سائدة فى أثينا ، يأخذ بها كثير من النـــاس ، حتى انه فى أول الجمهورية عند تعريف العدالة نجد من جملة التعريفات أن العدالة هى مصلحة الأقوى . ولكن سقراط يرفض هذا التعريف ، كما يرفض تعريفات أخرى ، ثم يمضى أفلاطون بعد ذلك فيحل مشكلة العدل فى نظرية شاملة للمجتمع بأسره ، وذلك فى باقى أجزاء محاورة الجمهورية ، ويعدل أفلاطون أيضا عن نظريته التى بسطها فى الجمهورية والتى كانت

توفر العدل بوحى من الضمير الحى والتربية والتعليم ووضع كل امرىء فى مكانه الصحيح من المجتمع ، الى المناداة بنظرية جديدة فى محاورة القوانين ، تستند الى وجوب احترام القانون ٠

وفى القدر الذى ذكره عن محاولة سقراط بلوغ الحد الكلى ومناقشة التعريفات للمعانى الأخلاقية والسياسية والاجتماعية كفاية ٠ وننتقل الى الموضوع الثانى الذى وصف به أرسطو فلسفة سقراط ، وهو نظريته الأخلاقية ٠

الفضيلة علم ، والرذيلة جهل ، هذه هى نظرية سقراط ٠

لو علم الانسان ماهية الفضيلة ، فلا شك سيعمل بها ، ولو علم ماهية الرذيلة فلا جرم يتجنبها ٠ وانما سادت الرذائل لجهل الناس بها وحقيقتها ٠ ويكفى أن يكون المرء عالما بالفضائل والرذائل العلم الصحيح حتى يقبل على الفضائل ويتجنب الرذائل ٠

ويترتب على ذلك عدة أمور ، على رأسها وجوب البحث عن الفضائل ومعرفتها ، وهذا ما فعله سقراط ، وتجلى فى المحاورات ٠ وكذلك النظر فى الفضائل هل اذا كانت علما يمكن تعليمها كما تعلم الحرف والصناعات ٠ ثم بعد ذلك هل الفضيلة جنس واحد له وجوه مختلفة ، أم هناك فضائل مختلفة كل منها يباين الفضيلة الأخرى ٠

لقد اعترض على سقراط اعتراضات لها وجاهتها منذ القديم حتى الآن فيما يختص بنظريته الأخلاقية من التوحيد بين الفضيلة والعلم • وكان من أعظم المعترضين على ذلك أرسطو ، الذى أقام اعتراضه على أساس اغفال سقراط عنصر الارادة ، والسلوك الخلقى لا شك يقوم على دافع من الارادة بحكم أنه ضرب من العمل لا من التفكير النظرى • وهذه التفرقة بين النظر والعمل ، هى التى على أساسها قسم أرسطو الفلسفة الى نظرية وعملية ، الأولى تبحث فى الرياضيات والطبيعيات والميتافيزيقا ، والثانية تبحث فى الأخلاق والسياسة •

ومن الاعتراضات التى وجهها أرسطو أيضا أن سقراط أغفل الجانب غير العاقل فى الانسان ، وذلك عندما ذهب الى أن الفضيلة علم ، فضرب صفحا عن الشهوة وعن السلوك الخلقى • أما أفلاطون فقد قسم النفس فيما بعد الى جزءين العاقل وغير العاقل ، وكان فى ذلك على حق •

ونقد ثالث لأرسطو على نظرية سقراط ، أننا لا نملك أن نكون أخيارا أو أشرارا ، لأننا اذا سألنا أحدا أيريد أن يكون عادلا أم ظالما ، فلا أحد يختار الظلم ، وكذلك الحال فى الشجاعة والجبن والفضائل الأخرى • ويترتب على ذلك أن النـــاس اذا كانوا أشرارا فليس ذلك ثمـــرة ارادتهم واختيارهم ، واذا كان ذلك كذلك ، فليس فى مقدور البشر أن يكونوا أخيارا ، ولا كان ذلك نتيجة ارادتهم ، كما يقول أرسطو • ومعنى ذلك بعبارة أخرى أن الفاضل يولد كذلك

والشرير كذلك ، ولا فضل للانسان فى أن يكون برا أو فاجرا • وما دام الأمر كذلك انهدمت الأخلاق ، لأن السلوك يصبح مفروضا ، والانسان مجبورا ، وتنعدم بذلك الحرية وما يتبعها من مسئولية •

ونقد رابع أن سقراط يذهب الى أن العلم بالفضيلة غاية ، فراح يتساءل عن العدل ما هو وعن الشجاعة ما هي ، وكذلك عن سائر الفضائل ، مقيما ذلك على أساس أن الفضائل صور من المعرفة ، بحيث يكون العلم بالعدل ، وكون المرء عادلا ، شيئا واحدا • وهذا ان صح فى العلوم النظرية كالهندسة مثلا أو العلم الطبيعى ، فلا يصح فى العلوم العملية التى تنفصل الغاية فيها عن ماهيتها ، كما تنفصل الصحة عن علم الطب • فأن يكون الانسان عالما بالطب شيء يختلف عن أن يكون صحيح الجسم ، وأن يكون عالما بالعدل خلاف أن يكون عادلا •

هذه هى جملة الانتقادات الأرسطية ، وهى انتقادات قاسية ولا شك ، ولكن سقراط لم يكن فى الواقع صاحب مذهب بمقدار ما كان صاحب منهج ، كل ما فى الأمر أنه كان يفتح أعين المفكرين على الموضوع ليبحثوا ويتناقشوا دون أن يقبلوا المسائل قضايا مسلمة • وفى أمر الأخلاق حاول سقراط أن يصل الى معرفة الفضائل ما هى ، اذ لا شك أن المعرفة فى ذاتها استنارة ، تضيء للمرء الطريق الذى يسير فيه • فما الطريق الصحيح المستند الى العلم والمعرفة

للعدل أو الشجاعة أو العفة وغير ذلك · فأنت ترغب فى أن تكون عادلا لا ظالما ، شجاعا لا جبانا ، وكل انسان يرغب فى ذلك ، ولا يمكن أن يكون الطريق الذى يسلكه الانسان على غير هدى ، أو طريقا موروثا مجبورا عليه · واذا كان سقراط قد بحث فى جانب واحد ، هو جانب « معرفة » ماهيـة الفضيلة ، فليس معنى أنه أغفـل جـانب الارادة والحرية ، كما يتهمه أرسطو ، بل انه لم يتسع له الوقت لبحثها ، كما أنه لم يكن فيلسوفا صاحب مذهب منظـم · وهذا هو السر فى أن تلاميذه اختلفوا اختلافا كبيرا فى تأويل مذهبه ، وفى الخـروج فى الأخـلاق بخاصـة بنظريات متعارضـة ·

توجد تعاليم سقراط الأخـلاقية فى معظم محاوراته ، وبأشكال مختلفة · ففى محاورة مينون بحث عن الفضيلة فى ذاتها · وشخصيات المحاورة قليلة : سقراط ، وأنيتوس أحد أثرياء أثينا وممن وجهوا اليه الاتهام عند محاكمته ، ثم مينون جندى من المرتزقة اشترك مع زينوفون فى حملة العشرة الآلاف ومات فى تلك الحملة ، وأخيرا عبد لمينون · وقد قيل ان موضوع المحاورة هو « التذكر » أى أن العلم تذكر والجهل نسيان ، باعتبار أن الانسان كان يعيش فى عالم المثل ، واطلعت نفسه على كل المعارف ، فاذا شـاهد المرء كائنا جزئيا تذكر ما كان يعرفه فى ذلك العالم · وآية ذلك أن خادم مينون استطاع أن يصل بنفسه ، ودون معلم، أن يعرف بعض الحقائق الرياضية بعد أسئلة سقراط ·

ولكن المحاورة تبدأ بداية أخرى لا تؤذن بنظرية التذكر فى المعرفة، بل بالفضيلة وصلتها بالعلم · ذلك أن مينون يبدأ بسؤال سقراط هل تكتسب الفضيلة بالتعلم أم بالممارسة، وان لم تكن تعلما ولا ممارسة ، فهل تحصل للانسان بالطبيعة أم بطريق آخر ؟ فالفضيلة فى ذاتها ، أو ماهية الفضيلة ، فى نظر مينون هى القدرة على حكم الناس · ولكن هذا التعريف لا يصلح لأن الحاكم الظالم ليس فاضلا ، الى جانب أن التعريف المذكور ليس سوى تعريفا للفضيلة السياسية لا لماهية الفضيلة فى ذاتها · فلما عرفت الفضيلة بأنها الرغبة فى الحصول على الأشياء الخيرة ، كان لابد من تقييد هذا التعريف بشروط تجعله مقبولا وعاما · واذا أمكن تعليم الفضيلة فلابد أن تكون علما ، كغيرها من العلوم ·

فاذا انتقلنا الى محاورة بروتاجوراس مثلا وجدنا البحث نفسه على الفضيلة ما هى وهل يمكن تعليمها ، فى مناقشة بديعة مع بروتاجوراس السفسطائى الكبير الذى وفد الى أثينا ، ونزل فى بيت كالياس الثرى الذى أنفق من ماله على السفسطائيين أكثر من أى شخص آخر ، كما ورد فى محاورة الدفاع ، والتقابل بين سقراط وبين السفسطائيين أشد وضوحا فى هذه المحاورة فيما يختص بالنظرية السقراطية عن الأخلاق ، نعنى أن الفضائل كلها علم · ويبدو أن أرسطو حين يتحدث عن هذه النظرية فى كتاب الأخلاق النيقوماخية انما يشير الى هذه المحاورة بالذات

ربط سقراط فى نظريته بين أمرين : الأول أن الفضيلة علم ، والثانى أنها يمكن تعليمها ما دامت علما • فاذا أثبت كذب القضية الأولى ، ثبت تبعا لذلك كذب القضية الثانية • فقد جـــاء بروتاجوراس يعلم الفضيلة السياسية لشباب أثينـــا ، وهـــذه الفضيلة هى صناعة الخطـــابة ، واعترف بروتاجوراس بأن الحقـــائق نسبية ، وأنه لا علم ، فهدم بذلك امكان التعليم • على حين أن سقراط ينتهى بأن العدل والعفة والشجاعة علوم ، ومع ذلك يقرر أنها لا يمكن أن تعلم • ولكن زعمه هـــذا فى المحـــاورة من قبيـــل التهكم والسخرية ، فقد كان يقول عن نفسه انه لا يعرف شيئا ، وانه لا يعلم غيره ، بل يولد المعرفة من النفس بالأسئلة •

بقى أن نبحث المحاورات الثلاث التى تعد ذروة المأساة السقراطية ، اتهامه ودفاعه عن نفسه وامتناعه عن الهرب من الســـجن ، وهى المعروفة باســـم أوطيفـــرون والدفاع وأقريطون • وقد جرت العادة أن يضاف اليها محاورة رابعة هى فيدون تبحث فى خلود النفس ، ولكن كثيرا من النقاد يعتبرها محاورة أفلاطونية لا سقراطية ، ولو أنه من العسير فصلها عن الثلاث الأولى ، من جهة أنها تكملة طبيعية لهذه المأســـــاة •

يلتقى سقراط بأوطيفرون فى دهليز المحكمة ، حيث جاء أوطيفرون يتهم أباه بالقتل ، وجاء سقراط ليدفع عن نفسه تهمـــة الالحاد وافساد الشباب ، ويدور البحث فى

هذه المحاورة حول الدين ما هو ، وما طبيعته ، وما الالحاد ، وما التقوى ، وما الفجور . وللمحاورة صلة قوية بالأخلاق لأن الرجل الصالح هو الذى يفعل ما يرضى الآلهة . وهنا تدخل المحاورة فى بحث الدين والآلهة اليونانية ، وهل ينبغى أن نصدق ما يروى عنهم من أساطير . وتدور مناقشة حول التقوى ، فيسأل سقراط على طريقته التهكمية ويجيب أوطيفرون ، وتتعدد الاجابات . الجواب الأول أن التقوى أن يصنع المرء كما فعل أوطيفرون بأن يتهم أباه بالقتل ، وكما نجد فى أساطير الآلهة أنفسهم . والجواب الثانى أن التقوى ، هى فعل ما يحبه الآلهة ، والفجور فعل ما يبغضونه ولا يرضون عنه . غير أنه لما كان الآلهة مختلفين فيما بينهم، فقد يسخط بعضهم عن أمر ، ويرضى بعضهم الآخر عنه ، وبذلك لا يكون التعريف صحيحا . وعندئذ يجرى تعديل للتعريف بحيث ينص على اجماع الآلهة على حب الشىء ، وهذه هى التقوى . ويتضح تناقض هذا التعريف على أساس وجود مرحلتين للتقوى ، الأولى محبة الآلهة للشىء ، والثانية أن يكون مقدسا لديهم . فهل يحب الآلهة الشىء لأنه مقدس ، أم يقدسونه ومن أجل ذلك يحبونه ؟ بعبارة أخرى هل التقوى فعل ما يحبه الآلهة أم يقدسونه ؟

تنتقل المحورة بعد ذلك الى شىء من السخرية والفكاهة، حين يسلم أوطيفرون أن كل تقى عادل ، وينكر أن كل عادل تقى ، ثم يسأل عن أى أجزاء العدل هى التقوى ، فيجيب

بأنها خدمة الآلهة ، وذلك بتقديم القرابين واقامة الصلوات، بعبارة أخرى ، التقوى علم الأخذ والعطاء ، انها لون من « التجارة » بين الناس والآلهة ، فالناس يقسمون الصلوات والقرابين للآلهة ، ويأخذون فى مقابل ذلك رضاهم • لا شك أن مناقشة سقراط تنتهى الى زعزعة الثقة بالأفكار السائدة عن الدين وعن الآلهة ومن هنا جزع أصحاب السلطان الدولة على انهيار الأسس التى يقوم عليها المجتمع ، والدين أساس مهم جدا ودعامة قوية لاستمرار الجماعة •

اتهم سقراط بتهم ثلاث ، انكار آلهة اليونان ، والمناداة بآلهة جديدة ، وافساد الشباب • وليس دفاع سقراط أمام القضاة من اختراع أفلاطون ، فان زينوفون يتحدث فى مذكراته عن هذا الدفاع ، ولكن المحاورة الأفلاطونية فيها صبغة فن أفلاطون ، وتعد من أقدم ما كتبه • وقد صور فيها سقراط ، فيلسوفا متهكما ، ساخرا ، حتى فى هذا الموقف الذى يوشك فيه أن يحكم عليه بالاعدام • وكان القضاة على استعداد أن يصدروا حكمهم بالعفو ، لو أن سقراط تذلل لهم ، وأظهر الندم ، ولكنه لم يبال وهو فى سن الشيخوخة أن يخون عهد الفلسفة ، وهى طلب الحقيقة، واعلان الحق ، والجرأة فى اعلان الرأى ، والصراحة فى ابداء ما يؤمن به المرء ويعتقده ، لأن المداهنة والرياء مدعاة الى افساد الدولة ، والتعامى عن الحقيقة بعد أن رقى الانسانية • وكان سقراط يعتقد فى نفسه أنه مكلف

برسالة الهية عليه أن يبلغها للناس ، مثله فى ذلك مثل الأبياء والرسل • وبالفعل صور سقراط فى محاورات أخرى أنه يستمع الى هاتف باطنى يتلقى منه ما يشبه الوحى السماوى • ولذلك انبرى يكذب فى دفاعه ما شاع عنه من تهمة هو منها براء ، ذلك أن شريفون أحد تلامذته المخلصين ذهب الى كاهنة معبد دلفى وسألها من أحكم رجل فى أثينا ، فأجابته انه سقراط • ولكن سقراط بأسلوبه الساخر نفى عن نفسه أن يكون حكيما لأن الحكمة صفة من صفات الآلهة ، أما هو فانه مؤثر للحكمة فقط وصديق لها ، وهذا هو معنى الفيلسوف فى اللغة اليونانية ، فان « سوفوس » تدل على الحكيم ، على حين أن « فيلوسوفوس » تعنى محب الحكمة • فالآلهة حكماء ، أما البشر فانهم مهما تبلغ معرفتهم فلن يبلغوا مرتبة الآلهة •

لقد قيل فى معرض الاتهام ان سقراط يعلم شباب أثينا أن الشمس والقمر قطعتين من حجر ، وليسا الهين كما يعتقد الأثينيون • ويجيب سقراط ان هذه المقالة تنسب الى انكساجوراس ، دونها فى كتابه ، وكان انكساجوراس يعيش فى بلاط بركليس ، وكان بركليس يحميه بنفوذه وسلطانه، ومع ذلك هرب أنكساجوراس من أثينا ، ويقال ان بركليس سهل له سبيل الهرب حتى لا يحاكم وينفذ فيه حكم الاعدام •

رفض سقراط استرحام القضاة ، ورفض أن يتقدم

بعض تلاميذه بدفع غرامة عنه بدلا من الحكم بالاعدام ، وأقبل على الموت راضيا ، لأن الفيلسوف هو الذى يطلب الموت ليخلد فى الآخرة ، ولكى تتخلص النفس من سجن البدن ، وتنعم بالمعرفة فى عالم المثل ٠

والفصل الثالث فى مأساة المحاكمة ، هو وضع سقراط فى سجن حتى تحين ساعة تنفيذ الحكم ، حيث بقى حول شهر حتى تعود السفينة المقدسة من رحلتها الى معبد ديلوس ، وهو شهر حرام لا يعدم فيه مجرم ٠ وجاء أقريطون قبل الفجر يغرى سقط بالهرب من السجن ٠ غير أنه رفض الهرب ، اذ فى نظره أن الخضوع لقوانين الدولة حتى لو كانت ظالمة أفضل من الهرب منها انقاذا لمصلحة الفرد ٠ لقد عاش سقراط طيلة حياته ينادى باصلاح الدولة ، وايثار مصلحتها على صالح الفرد ، وتمجيد القوانين التى بها تستقر الأمور فى المجتمع ، والدعوة الى احترام القانون واتباع النظام ، وبهما يتوفر العدل ٠ ذلك أن الخير والشر هما فى الواقع أمران نسبيان بالاضافة للمجتمع ، فالخير خير اذا عادت فائدته على المجتمع ، وتعود فائدته فترجع على الفرد ، والشر شر اذا أساء الى المجتمع وعندئذ يصاب الفرد بالضرر ٠ وهذه هى النظرية التى نماها أفلاطون فى الجمهورية ، حين أجاب على السؤال الذى بدأه فى تلك المحاورة عن العدالة ما هى ، فجاء الجواب بأن الدولة كلها ينبغى اصلاحها بجميع أجزائها ، وأن يوضع كل فرد الموضع اللائق به ٠ فالعدالة لا تتحقق فرديا بل اجتماعيا ، ولذلك

سميت جمهورية أفلاطون بأنها شيوعية ، أو اشتراكية والحق أن أفلاطون هو المبشر الأول بالشيوعية من قديم ، بتقديم مصلحة المجتمع على مصلحة الفرد •

ولو أن سقراط قبل الهرب لكان موقفه متعارضا تماما مع فلسفته التى استمر على التبشير بهـا واذاعتها فى تلاميذه • وكيف يهرب وقد رفض فى المحكمة أن يخضع لشتى الاغراءات التى قدمت له لتفادى الحكم المحتوم • ومن هذا يتضح أن فلسفته تتلخص فى انقاذ المدينة من الفساد ، والابقاء عليها خشية الانهيار • وقد ارتفع شأن أثينا فى زمانها ، وبقيت خالدة على مر العصور ، بتمسكها بهذه التعاليم التى نادى بها سقراط ، من حرية ابداء الرأى ، والدعوة الى الديمقراطية فى مقابل حكومة الطغيان والاستبداد ، والدعوة الى الفضيلة والخير ، لأن الأخلاق الفاضلة هى الأساس الذى ينبغى أن تقوم عليه الدولة •

وقد كانت محاكمة سقراط ، ودفاعه عن نفسه ، وامتناعه عن الهرب ، وموته ، كل ذلك مثالا حيا على التفانى فى سبيل العقيدة الفلسفية الصحيحة •

مقتطفـــات

١ ـ التقوى والفجور

سقراط : وما التقوى وما الفجور ؟

أوطيفرون : التقوى أن تفعل ما أنا فاعل ، أعنى أن تقيم الدعوى على كل من يقترف جريمة القتل أو الزندقة أو ما الى ذلك من الجرائم ، سواء أكان أباك أم أمك أم كائنا من كان ، فذلك لا يبدل من الأمر شيئا • وأما الفجور فهو ألا تقيم على هؤلاء الدعوى • وأرجو أن ترى يا سقراط الدليل الساطع الذى أقيمه لك على صدق ما أقول ، وهو دليل سقته بالفعل الى سائر الناس برهانا على مبدأ أن الفاجر لا ينبغى أن ينجو من العقاب كائنا من يكون • ألا ترى الى الناس كيف يعدون زيوس أفضل الآلهة وأقدمهم مع اعترافهم بأنه كبل سلفه كرونوس لأنه مزق أبناءه تمزيقا مروعا • بل انهم ليقرون أنه أنزل العقاب بأبيه نفسه أورانوس لسبب شبيه بهذا عقابا يفوق الوصف ، ثم يغضبون منى اذا أنا أقمت الدعوى على أبى • وهكذا ترى الناس يتناقضون فى موقفهم ازاء الآلهة وازائى •

(محاورة أوطيفرون)

٢ ـ الهاتف الباطنى

قد يعجب بعضكم لماذا أطوف بالناس سرا فأسدى اليهم النصح وأشتغل بأمورهم ولا أجرؤ أن أتقدم بالنصح الى الدولة جهرا واليكم سبب هذا :

كثيرا ما سمعتمونى مرارا كثيرة وفى أماكن شتى عن وحى أو علامة يأتينى ، وهى الالهة التى يسخر منها ميليتس فى دعواه · وقد لازمنى ذلك الوحى منذ طفولتى ، وهو عبارة عن صوت يطوف بى فينهانى عن أداء ما أكون قد اعتزمت على أدائه ، ولكنه لا يأمرنى بعمل ايجابى · وذلك ما حال دون اشتغالى بالسياسة · وأخال ذلك أمن الطرق فلست أشك أيها الأثينيون ، فى أنى لو ساهمت فى السياسة للاقيت منيتى منذ أمد بعيد ، وما قدمت لكم أو لنفسى خيرا · وأرجو ألا يؤلمكم الحق أن أنبأتكم به · فالحق أنه يستحيل على من ينزل معكم فى ساحة الوغى أو أى فئة أخرى ، مقاوما فساد الأخلاق وما يجرى فى الدولة من أعمال ظالما أن ينجو بحياته · ذلك أن من يناضل فى سبيل الحق، ان قدر له أن يعيش فترة قصيرة من الزمن ، فلابد أن يشغل منصبا خاصا لا عاما ·

وان شئتم برهانا مقنعا على ما أقول ، فلن أقدم ألفاظا فقط ، بل أفعالا ، وهى أقوى حجة من الألفاظ • ولتأذنوا لى أن أقص عليكم طرفا من حياتى الخاصة ينهض دليلا على أننى لم أخضع قط لظلم خشية الموت ، حتى لو وثقت بأن العصيان سيعقب من فوره موتا محققا • سأقص عليكم قصة قد تشوقكم أو لا تشوقكم ، ولكنها مع ذلك حق • ان المنصب الوحيد الذى شغلته فى الدولة هو عضوية مجلس الشيوخ • وكانت رياسة المجلس عند محاكمة القادة الذين لم ينقذوا جثث القتلى عقب موقعة أرجينس ، لقبيلة أنتيوخس — وهى قبيلتى — فرأيتم أن تحاكموهم جميعا • وكان ذلك منافيا للقانون كما أدركتم جميعا ذلك فيما بعد • ولكننى كنت اذ ذاك وحدى بين أهل بريتان أعارض الافتئات على القانون ، وأعلنت رأيى مخالفا لكم • ولما تهددنى الخطباء بالحبس والطرد ، وصحتم جميعا فى وجهى ، آثرت التعرض للخطر مدافعا عن القانون والعدل على أن أساهم فى الظلم خشية السجن أو الموت • حدث ذلك فى عهد الديمقراطية • فلما تولى زمام الأمر الطغاة الثلاثون ، أرسلوا الى ، والى أربعة معى ، وكنا تحت السقيفة ، وأمرونا أن نسوق اليهم ليون السلامى من بلدة سلاميس لينزلوا به الموت • وذلك مثال لأوامرهم التى اعتادوا اصدارها لكى يشركوا معهم فى

جرائمهم أكبر عدد من الناس • فبرهنت لهم ، قولا وعملا ، انى لا أحفل بالموت ، وأنه لا يزن عندى قشة ان صح هذا التعبير • وأن كل ما أخشاه هو أن أسلك سلوكا معوجا شائنا • فلم أرهب طغيان تلك العصبة الظالمة ، ولم تضطرنى الى ركوب الخطأ • فلما خرجنا من السقيفة حيث كنا ، ذهب الأربعة الآخرون الى سلاميس فى طلب ليون ، أما أنا فقد أخذت سمتى نحو الدار فى هدوء صامت ، متوقعا فقدان حياتى لقاء ذلك العصيان ، لولا أن دالت دولة الثلاثين بعد ذلك بقليل • وما أكثر من يشهدون بصدق ما أقول •

من محاورة الدفاع

٣ ـ احترام القوانين

سقراط : أينبغى للانسان أن يفعل ما يراه حقا ، أم ينبغى له أن ينقض الحق •

أقريطون : يجب على الانسان أن يفعل ما يظنه حقا •

سقراط : ولكن ما تطبيق هذا ان صح ؟ هل أسىء الى أحد ان تركت السجن رغم ارادة الأثينيين ؟ أو بعبارة أخرى،

هل أخطىء فى حق أولئك الذين ينبغى أن يكونوا أبعد الناس عن الاسـاءة ؟ ألا يكون فى ذلك هجـران للمبادىء التى اعترفنا جميعا بعدالتها ؟ ماذا تقول فى هذا ؟

أقريطون : لست أدرى يا سقراط ، فلا أستطيع أن أقول شيئا ٠

سقراط : اذن فانظر الى الأمر على هذا الوجه : هبنى هممت بالأبواق (أو ان شئت قسم هذا الفعل بما أردت من أسماء) ٠ فجاءت الى القوانين والحكومة تسائلنى : حدثنا يا سقراط ، ماذا أنت فاعل ؟ أتريد بفعلة منك أن تهز كياننا ، أعنى القوانين والدولة بأسرها بمقدار ما هى فى شخصك ماثلة ؟ هل تتصور دولة ليس لأحكام قانونها قوة ، ولا تجـد من الأفراد الا نبـذا واطراحا أن تقوم قائمتها فلا تندك من أساسها ؟ فبماذا تجيب يا أقريطون عن هذه العبـارة وأشباهها ٠ وسـيكون مجـال القول متسعا لكل انسان ، وللخطيب البليغ بنوع خاص ، عنـدما يهاجمون هذا الشر الذى ينجم عن اطراح القانون الذى لابد لحكمه من النفاذ ٠ وربما أجبنا نحن : « نعم ، ولكن الدولة قد آذتنا ، وجارت علينا فى قضائها » ٠ هبنى قلت هذا ٠

أقريطون : جميل جدا يا سقراط .

سقراط : سيجيب القانون : « أفكان ذلك ما قطعته معنا من عهد ، أم كان لزاما عليك أن تصدع بما حكمت به الدولة » . فان بدت على علائم الدهشة من قولهم هذا ، فربما أضاف القانون قوله : « أجب يا سقراط بدل أن تفتح لنا عينيك وقد عهدناك سائلا ومجيبا : ما شكاتك منا ، تلك التى تسوغ لك محاولة هدمنا وهدم الدولة معا ؟ وفوق كل شيء ألم نأت بك الى الوجـود ؟ ألم يتزوج أبوك من أمك بعوننا فأعقبناك ؟ قل ان كان لديك ما تعترض به على أولئك الذين ينظمون الزواج منا » . وهنا لابد من اجابتى أن لا . « أو على أولئك الذين منا ينظمون طرائق التغذية والتربية للأطفال وفى ظلهـــا نشأت أنت . ألم تكن القوانين التى نهضت بهذا على حق عندما طلبت من أبيك أن يدربك على الموسيقى ورياضة البدن » . وهنا يلزم أن أجيب أنها كانت على حق . « حسنا فان كنا قد أتينا بك الى العالم ، ثم أطعناك فأنشأناك ، أفانت جاحد أنك قبل كل شيء ابننا وعبدنا كما كان آباؤك من قبل ؟ فان صح هذا فلسنا واياك سواسية ، حتى تظن من حقك أن تفعل بنـا ما نحن بك فاعلون . وهل يكون لك أدنى حق فى أن تنـال أباك أو

سيدك ، ان كان لك أبو أو سيد ، بالضرب أو الشتم أو بغير ذلك من السوء ، اذا وقع عليك منه ضرب أو شتم ، أو أصابك منه غير ذلك من الشر . لا نخالك قائلا بهذا . واذا كنا قد رأينا أن من الصواب اعدامك ، أفتظن أن من حقك أن تجازينا اعدامنا باعدام » .

(محاورة أقريطون)

مكتبة الأسرة



بسعر رمزى

خمسة وعشرون قرشا

بمناسبة

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٥

